المقابلة التركيبية الإعرابية وتوجيه الدلالة دراسة في كتاب سيبويه

م.د. صباح رحمن دايخ مديرية تربية القادسية

qq@gmail.com٢٠١٥alayade

الملخص:

خُصِّص هذا البحث لدراسة المقابلة التركيبية الإعرابية وتوجيه الدلالة في كتاب سيبويه؛ لما للمقابلة الإعرابية بين التراكيب من أهمية كبيرة لارتباطها المباشر بتوجيه الدلالة نتيجة لظروف معيَّنة تقتضي التغيير في الوظائف النحوية؛ ولما لكتاب سيبويه من أهمية كبيرة، ليس لأوّليته وسبقه في التأليف فقط، بل لمضمونه فهو يحتوي على مباحث دقيقة وملاحظ قيِّمة؛ لذا كان الأساس في الدراسات النحوية.

وقد قُسِّم البحث على مبحثين، الأوّل منهما كان في المقابلة الإعرابية وتوجيه الدلالة (الجذور والأهمية)، وخُصِّص الآخر لدراسة المقابلة التركيبية الإعرابية وتوجيه الدلالة في كتاب سيبويه، وقُسِّم هذا المبحث على قسمين، تناول الأول منهما المقابلة التركيبية وتوجيه الدلالة مع اختلاف وجوه الإعراب، بينما تناول الآخر المقابلة الإعرابية وتوجيه الدلالة مع الاتحاد في الإعراب، بعدها خُتم البحث بخاتمة قصيرة بيَّنت أهم ما ورد فيه، تلتها هوامش البحث وروافده.

الكلمات المفتاحية: (المقابلة التركيبية، الدلالة، كتاب سيبويه).

The syntactic contrast and the direction of semantics, a study in the book of Sibawayh

Dr. Sabah Rahman Dayikh / Al-Qadisiyah Education Directorate

Abstract:

This research was devoted to studying the syntactic correspondence and the direction of semantics in the book of Sibawayh. Because the grammatical correspondence between constructions is of great importance because of its direct connection to the direction of meaning as a result of certain circumstances that require a change in grammatical functions. Because Sibawayh's book is of great importance, not only because of its priority and precedence in writing, but also because of its content, it

contains precise discussions and valuable observations. So the basis was in grammatical studies.

The research was divided into two sections, the first of which was on the syntactic contrast and the direction of connotation (roots and importance), and the other was devoted to studying the syntactic contrast and the direction of connotation in Sibawayh's book. This section was divided into two parts, the first of which dealt with the syntactic contrast and the direction of connotation with different aspects of parsing, while The other dealt with the grammatical interview and directing the meaning with the union in grammatical analysis. The research was then concluded with a short conclusion that explained the most important things contained in it, followed by the footnotes of the research and its tributaries.

Keywords: (synthetic interview, semantics, Sibawayh's book).

المقدمة:

يعمد النحويّ في سبيل إيصال ما يريده إلى أساليب عدة تزيل الغموض وتقرّب المقصود، منها ما اعتمده سيبويه في المقابلة الإعرابية بين التراكيب، إذ يقابل بين تركيب وآخر يشبهه مع اختلاف في الوظائف النحوية، وهذا الأمر يقتضي استدعاء السياق الكلامي بكلِّ تفصيلاته؛ لبيان الفروق التركيبية والدلالية الناتجة عن اختلاف الوظائف النحوية المتعلقة بالإعراب.

وتنبع أهمية المقابلة التركيبية الإعرابية من عدة وجوه، الأول: بيان أهمية الإعراب وأثره الدلالي؛ لكونه المحدّد الأساس للوظائف النحوية، الثاني: الغوص في تفصيلات الفروق الدلالية؛ لغرض التمييز بين التراكيب بتحديد الفروق فيما بينها، الثالث: التركيز على السياق الكلامي بكلِّ متعلقاته المتكلم والمخاطَب والسياق العام للخطاب؛ فلكلّ سياق تركيب خاص به، ووظائف نحوية معيَّنة، وهذا ما بيَّنه سيبويه في دراسة المقابلة التركيبية في الإعراب، وكما اتَّضح في صفحات البحث.

المبحث الأوَّل: المقابلة الإعرابية وتوجيه الدلالة (الجذور والأهمية)

تقوم الدراسة النحوية على دراسة التركيب وتحليله وتفسيره بكلِّ تفصيلاته ومتعلقاته، بما في ذلك ظروف الكلام فـ((هي الأساس الذي ينبني عليه تأليف الجملة، أو تأليف الكلام في أساليب مراعى فيها مطابقة الكلام لمتطلبات هذه المناسبات، وهذه العلاقات))[١]، فقد شغلت التراكيب الحيز الأساس في الدراسة النحوية، فعمد النحويون إلى دراسة التركيب الواحد وتحليله وبيان وظائف الكلمات فيه، كذلك عمدوا إلى دراسة من نوع آخر هي المقابلة الإعرابية بين التراكيب، وذلك بعرض تراكيب متشابهة لكن يجوز في أحد أركانها أكثر من وجه إعرابي، والغرض من ذلك هو التفصيل في الدراسة وبيان الفروق الدلالية بين الوظائف النحوية التي تختلف باختلاف الحركات الإعرابية، ((فالمظهر الإعرابي وثيق الصلة بالمحتوى الدلالي للتركيب، وإنَّ التغيّر الذي يطرأ على التشكيل الإعرابي لابد أن يترتب عليه تغيير في مضمون التركيب اللغوي))[٢].

من هذا المنطلق اتَّجه النحويون إلى التوسّع في دراسة التراكيب والمقابلة فيما بينها لغرض بيان الفروق الدلالية الدقيقة بينها الناتجة عن التغيير في الحركة الإعرابية، وهذه الدراسة تحتاج إلى التفصيل وتحليل السياقات المختلفة؛ لأنَّ كلَّ وجه إعرابي هو في الأصل نتاج لموقف معيّن بعناصره الأساسية التي تتمثَّل بالمتكلّم، والمخاطَب، وسياق الحال ومتعلقاته.

وأوَّل من عمد إلى ذلك سيبويه، فهو يستعمل طرقًا عدة لتوضيح ما يعرضه من قواعد ناتجة عن معرفة دقيقة باللغة ومعايشة واقعية لها، ومن بين تلك الطرق طريقة المقابلة الإعرابية بين التراكيب؛ لبيان أهمية الحركة الإعرابية بوصفها دليلًا على الوظيفة التي تشغلها الكلمة في التركيب؛ ففهم أيّ تركيب مبني على فهم معاني الإعراب، والتوهّم في تعيين الوضع الإعرابي قد يؤدي إلى التوهّم في فهم المعنى المراد؛ ذلك لأنَّ الوضع الإعرابي هو أساس في فهم المعنى النحوي الذي يقود في النهاية إلى بيان المعنى المقصود، والتواصل مع المخاطَب، فالرفع له دلالة خاصة على معنى معيَّن، والنصب له دلالة على معنى آخر، والجر له دلالة تختلف عنهما[٣].

لذا عمد سيبويه إلى المقابلة بين التراكيب في عدد من الأحوال الإعرابية فيما يجوز فيه أكثر من وجه إعرابي؛ لإدراكه بأهمية وجوه الإعراب المختلفة وكون هذه المقابلة تبيّن أدق التفاصيل الناتجة عن الاختلاف في الحركة الإعرابية، فعلَّل سبب اختيار كل حركة معتمدًا على سياقها الذي ترد فيه، وسياق الحال الذي يُظهر قصد المتكلم وحال المخاطب وظروف الخطاب العامة؛ فقد أدرك النحويون ((أهمية مراعاة المخاطَب وعلمه ومعرفته بالحدث، فجاءت تعليلاتهم منسجمة مع تلك المعاني))[٤]؛ فللمخاطَب أثر كبير في اختيار المتكلّم لعناصر الجملة، وترتيب تلك العناصر، وتحديد وظيفة كلّ عنصر فيها ((ذلك أنّه معنيٌّ بالخطاب، وإظهار استجابة معيّنة قد تكون قبولًا لما يُلقى عليه، أو رفضًا بحسب نوع الفعل والعلاقة بالمرسل، فإذا تساوق المنطوق مع الموقف تسهل عملية بناء الخطاب بالنسبة للمتكلّم، وتحليله وفهمه بالنسبة للمخاطب))[٥].

فهذا التحليل يقوم على استعراض المعاني المختلفة في التركيب الذي يتغيَّر بتغيّر الحركة الإعرابية، ويرتكز هذا التحليل على قضايا أساسية تتعلَّق بظروف الكلام؛ لذا كان لابدَّ من تعليل كلّ وضع إعرابي تعليلًا دقيقًا حتى تتبيَّن الفروق الدلالية بين تلك التراكيب، ((وقد أدى هذا النمط من التفكير النحوي إلى الكشف عن قدرة العربية على التعبير الدقيق عن المعنى بنظم دقيق تتسع فيه اللغة لتعبر عن أكثر من معنى في التركيب الواحد وذلك بتغيير العلامة فقط دون المساس بأركان التركيب وأجزائه الأخرى))[٦].

فكلُّ علامة إعرابية هي دليل على وظيفة معينة تشغلها الكلمة في التركيب، فتتغيَّر الوظائف النحوية بتغيُّر العلامة الإعرابية، وهذا المجال لم يتركه النحويون بل شرعوا بدراسته وبيان تفصيلاته وعلله[٧]، والمعاني المختلفة التي تنتج عنه، فعمدوا إلى دراسة تلك التراكيب بأدق التفاصيل، فهم قد أوضحوا بنظراتهم الثاقبة أهم الوسائل اللغوية في التعبير عن المعاني المختلفة بأقصر الطرق وأدقها، فلم يكتفوا في تحليلهم للتراكيب ودراستها بالوقوف عند حدود دراسة الجملة الواحدة وبيان الحكم النحوي للكلمة فيها بمعرفة حالتها الإعرابية ووظيفتها التي تشغلها بدلالة القرائن السياقية المصاحبة[٨]؛ ((لأنّ هذا النمط من البحث يقتصر على بيان دلالة الاسم على معنى واحد، لذا

اتجهوا إلى مجال أرحب في البحث عن المعاني وذلك بالبحث عن وجوه محتملة في اللفظ الواحد يعبر فيها كل وجه من الإعراب عن معنى، حيث تستطيع اللفظة الواحدة في الجملة التعبير عن معنيين أو أكثر على الرغم من احتفاظها بترتيبها في الجملة))[٩]، وكل ذلك مرتبط بسياق الكلام وأحواله، وعلى هذا الأساس تكون به حاجة ماسة إلى التحليل الدقيق والتأويل وتعليل الوجوه المختلفة استنادًا إلى السياق بجميع صوره.

المبحث الثاني: المقابلة التركيبية الإعرابية وتوجيه الدلالة في كتاب سيبويه

لم يقتصر سيبويه على دراسة التركيب الواحد وتحليله، بل عمد إلى المقابلة بين التراكيب وتحليلها وتعليلها، وهذا الأمر يقتضي التفصيل واستدعاء ظروف الكلام جميعها التي تتمثَّل بقصد المتكلّم وحال المخاطَب ومتعلقات الكلام الأخرى، حتى تتبيَّن الفروق الدلالية الدقيقة التي تميّز بين تركيب وآخر، وقد لُحظ ذلك عند سيبويه، فهو قابل بين التراكيب المحتملة لوجهين إعرابيين أو أكثر في عنصر من عناصرها، كذلك قابل بين التراكيب المتحدة في الإعراب لكنَّها مختلفة في الدلالة نتيجة احتمال أحد عناصرها لأكثر من وظيفة نحوية؛ لذا سنعرض لدراسة المقابلة التركيبية وتوجيه الدلالة مع اختلاف وجوه الإعراب، والمقابلة التركيبية وتوجيه الدلالة مع الاتحاد في الإعراب.

أولًا: المقابلة التركيبية وتوجيه الدلالة مع اختلاف وجوه الإعراب

تتسع أشكال التراكيب باتساع ظروف الكلام ومتعلقاته، وظروف الكلام وسياقاته واسعة بدقائقها وتفصيلاتها، هذا الأمر جعل النحويين يعمدون إلى التنويع في دراسة التراكيب والتوسّع في تلك الدراسة؛ لتحليل التراكيب والكشف عن الفروق الدلالية التي تتعلَّق بالسياقات المختلفة، فكان لابدَّ من المقابلة الإعرابية بين التراكيب، فقد يجوز في التركيب أكثر من وجه إعرابي، فتختلف وظيفة الكلمة في الجملة تبعًا لكلِّ وجه إعرابي ممَّا يؤدي إلى اختلاف في ((دلالة تلك الجملة تبعًا لاختلاف الأوجه الإعرابية، وفي ذلك نجد سيبويه يفسر معنى كل وجه من تلك الأوجه معتمدًا على سياق الحال واختلاف المواقف التي تقال فيها الجملة، فيعتمد على المتغيرات الخارجية المفترض أن تولد فيها تلك الجمل وما يجري بين أطراف العملية الخطابية، فيوجه سيبويه معنى كل وجه إعرابي

اعتمادًا على مقامه الذي قيل فيه))[١٠].

وأمثلة ذلك كثيرة في كتاب سيبويه[١١]، منها مقابلته بين الجملتين: (له علمٌ علمُ الفقهاءِ، وله علمٌ علمَ الفقهاءِ)، فكلمة (علم) الثانية وردت في التركيب الأول بالرفع، وفي الثاني بالنصب، وقد قابل سيبويه بين التركيبين وفصَّل القول فيهما موضحًا ومعلِّلًا.

يقول في وجه الرفع: ((إنَّما كان الرفعُ في هذا الوجه لأنَّ هذه خصالٌ تذكرها في الرجل، كالحلم والعقل والفضل، ولم ترد أن تُخبِر بأنك مررتَ برجل في حال تعلُّمٍ ولا تفهُّمٍ، ولكنَّك أردت أن تذكر الرجل بفضلٍ فيه، وأنْ تجعل ذلك خَصلةً قد استكملها، كقولك: له حَسَبٌ حَسَبُ الصالحينَ؛ لأنَّ هذه الأشياءَ وما يُشبهها صارت تحلية عند الناس وعلاماتٍ))[١٢].

هذا التحليل الدقيق وهذا التعليل القائم على سياق الحال ناتجان عن المقابلة الإعرابية، فـ((العلامة الإعرابية هي السمة المحددة لوظيفة كل عنصر في التركيب))[١٣]؛ فلو لم يقابل بين تركيبين لاكتفى ببيان الدلالة الظاهرة للتركيب من دون الحاجة إلى الغوص في تفصيلات الدلالة وتعليل وجوه الإعراب، فقد اتَّضح من هذا النص أنَّ سيبويه علَّل وجه الرفع تعليلًا دقيقًا ليميّزه عن الوجه الآخر وهو وجه النصب، فالوجهان فيهما إخبار عن شيء ما، لكنَّ هذا الخبر مختلف بينهما باختلاف وجه الإعراب، ففي الرفع لم يرد أن يخبر عن حاله، أي: في حال تعلّم، بل أراد أكثر من ذلك، وهو الإخبار بأنَّه صاحب علم متصف به بصفة دائمة ملازمة؛ لذا يقول سيبويه: ((العلم صار عندهم بمنزلة اليَدِ والرِّجْلِ، ويدلك على ذلك قولهم: له شَرَفٌ، وله دينٌ، وله فَهمٌ، ولو أرادوا أنّه يُدْخِلُ نفسَه في الدِّينِ ولم يستكمل أن يقال: له دينٌ، لقالوا: يتديَّنُ وليس بذلك، ويتشرَّفُ وليس له شَرَفٌ، ويتفهَّمُ وليس له فَهمٌ، فلمّا كان هذا اللفظُ للذين لم يستكملوا ما كان غيرَ علاجٍ، بَعُدَ النصبُ في قولهم: له عِلمٌ علمُ الفقهاءِ))[١٤].

فتركيز سيبويه هنا انصبَّ على تقدير المتكلّم لحال المخاطَب، فـ((أكثر الأحكام كانت تراعي إدراك المخاطب وعلمه كما تراعي أن لا يُحدث الكلام لبسًا فتختلط المعاني وتتداخل فلا يعلم

المقصود منها؛ لذا صار مصطلح عدم اللبس مصطلحًا نحويًا يراد به مراعاة الوضوح في الكلام، والبيان في التركيب، لكي يدرك المخاطب المعنى المراد من غير لبس أو خلط في الدلالة))[١٥].

لذا اعتمد هنا في تعليل وجه الرفع على سياق الحال وبالخصوص حال المخاطَب، يقول سيبويه: ((فهو يُخبِر عمَّا قد استقرّ فيه قبل رؤيته وقبل سَمْعه منه، أو رآه يتعلَّم فاستدلَّ بحُسن تعلُّمه على ما عنده من العلم، ولم يردْ أن يُخبر أنَّه إنَّما بدأ في علاج العلم في حال لقيِهِ إيّاه، لأنَّ هذا ليس مما يُثنى به، وإنَّما الثناء في هذا الموضع أن يُخبر بما استقرَّ فيه، ولا يُخبر أنّ أمثَلَ شيءٍ كان منه التعلُّمُ في حال لقائِه))[١٦].

ويعلل سيبويه وجه النصب بقوله: ((إن شئت نصبتَ فقلت: له عِلمٌ علمَ الفقهاءِ، كأنَّك مررت به في حال تعلُّمٍ وتفقُّهٍ، وكأنّه لم يستكمل أن يقال له: عالمٌ))[١٧].

علّل سيبويه في النص آنف الذكر وجه النصب في قول القائل: (لهُ علمٌ علمَ الفقهاء)، تعليلًا قائمًا على مراعاة سياق الحال، فالأمر هنا في حال النصب مختلف عمَّا كان عليه في وجه الرفع، فالمتكلّم لا يريد هنا أن يخبر بصفة ثابتة ملازمة للموصوف، بل يريد أن يخبر عن حال الموصوف، أي: كونه في حال تعلُّم ولم يستكمل أن يقال له عالم؛ ((فالنصب يبين موقفًا يمر به المتكلم على المعني وهو يتعلَّم ويتفقَّه ولمّا يصبح عالمًا أما الرفع فالموقف يتغيّر إذ الشخص فيه قد استكمل طلبه للعلم فأصبح عالمًا))[١٨].

هذا المنهج الدقيق في تحليل التراكيب وتعليلها يقوم على مراعاة سياق الحال عن طريق ((دراسة الوجوه الإعرابية المختلفة للفظ في التركيب الواحد، والموازنة بين الأبواب النحوية وبيان ما بينها من علاقات تشابه أو اختلاف))[١٩]، وربطها بسياقاتها المختلفة؛ وأدى هذا التحليل إلى استنباط دلالات جديدة من دلالة كلّ وجه إعرابي، وما توحيه من معانٍ؛ لذا جاءت تفسيرات سيبويه للمعاني في وجه الرفع، وفي وجه النصب، في ضوء ما توحيه تلك الوجوه الإعرابية من موحيات وموجهات تقود للمعنى المراد[٢٠].

ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره سيبويه في مقابلته بين تركيبين في قوله: ((قولك: عمرٌو لقيتُه وزيدٌ كلَّمتُه، إن حملتَ الكلامَ على الأول، وإن حملتَه على الآخِر قلتَ: عمرٌو لقيتُه وزيدًا كلَّمتُه))[٢١].

عمد سيبويه هنا إلى المقابلة بين تركيبين يتفقان لفظيًا ويختلفان دلاليًا نتيجة لاختلاف الوظيفة النحوية لعنصر معين في الجملة، ففي الجملة الأولى علَّل وجه الرفع في (زيدٌ) بأنَّ المتكلّم حمل الكلام على الأول وهو عمرٌو، فقصد به أن تعطف الكلام على ما سبق، والإخبار بالجملة الاسمية أي: قصد الإسناد إليه كما هو الحال في الجملة التي سبقته، أمَّا النصب في (زيدًا)، فعلله سيبويه بأنَّ المتكلم حمل الكلام على الذي بني عليه الفعل فيكون مفعولًا مقدَّمًا على فعله، يقول سيبويه في موضع آخر موضحًا: ((أيَّ ذلك فعلت جاز، فإن حملتَه على الاسم الذي بُني عليه الفعلُ كان بمنزلته إذا بنيتَ عليه الفعلَ مبتدأ، يجوز فيه ما يجوز فيه، إذا قلتَ: زيدٌ لقيتهُ، وإن حملته على الذي بُني على الفعل اختيرَ فيه النصبُ كما اختير فيما قبله، وجاز فيه ما جاز في الذي قبله))[٢٢].

فقَصْدُ المتكلّم هو الأساس هنا، وهذا القصد قائم على مراعاة حال المخاطب وظروف الكلام، فهذه الأمور مترابطة جميعها لتحقيق الحدث الكلامي، فالمتكلّمُ ((إذا قصد بزيد أن يكون مسندًا إليه فلابد من رفعه... وإذا قصد بزيد في المثال أن يقدم للاهتمام به فقد وجب نصبه، لأنه ما يزال مفعولًا للفعل الظاهر، وإن قدم للاهتمام به، أو اتصل الفعل بضميره))[٢٣]، أو على القول الآخر بأنَّه مفعول به لفعل مضمر يفسره الفعل المذكور بعده[٢٤].

فالوظيفة النحوية للفظة (زيد) في كلِّ جملة من الجملتين موضع الحديث تتحدّد من الوجه الإعرابي لها الذي يحدّد بدوره علاقتها بمكونات الجملة الأخرى، فـ((قد يكون في التركيب أكثر من عنصر منبور يكون الأول مرفوعًا دائمًا، ويتساوى الرفع والنصب بالنسبة للثاني إلا أن علاقته بالفعل هي التي تحدد الوظيفة وبالتالي الحالة الإعرابية، وبديهي أن عدد الجمل التي يضمها كل تركيب تختلف باختلاف الحركة المختارة))[٢٥].

ولم يكتف سيبويه بالمقابلة بين تركيبين، بل تعدى ذلك إلى المقابلة بين ثلاثة تراكيب، من أمثلة ذلك ما عرضه من وجوه إعرابية في قوله: ((تقولُ: كتبتُ إليه أنْ لا تقلْ ذاك، وكتبتُ إليه أنْ لا يقولَ ذاك، وكتبتُ إليه أنْ لا تقولُ ذاك))[٢٦].

فقد اعتمد على المقابلة الإعرابية في تركيب واحد بالأصل، لكنَّه تحوَّل إلى ثلاثة تراكيب مختلفة باختلاف وجوه الإعراب فيها، فكلّ تركيب منها له دلالة خاصة مختلفة عن التركيب الآخر نتيجة لاختلاف وجوه الإعراب، فوجوه الإعراب هنا كان لها أثر كبير في تحديد شكل الجملة ومضمونها، يقول سيبويه معللًا تلك الوجوه مبينًا الفرق بينها في المعنى: ((أمَّا الجزم فعلى الأمر، وأمَّا النصب فعلى قولك لئلَّا يقولَ ذاك، وأما الرفع فعلى قولك: لأنّك لا تقولُ ذاك أو بأنَّك لا تقول ذاك، تُخبره بأنّ ذا قد وقع من أمره))[٢٧].

فوجه الجزم أفاد في أنَّ (لا) هنا ناهية، والتقدير: (لا تقلْ ذاك)، فهو نهي عن القول، والنصب أفاد معنى آخر مختلفًا هو معنى التعليل؛ فسبب كتابته إليه هو حتى لا يقول ذاك، أو: لئلّا يقول ذاك، أمَّا الرفع فقد أفاد معنى مختلفًا أيضًا، فقد وجَّه الدلالة إلى معنى النفي، فسبب كتابته إليه هو النفي لما يحتمله المتكلّم في نفسه من احتمالات على تقدير: بأنَّك لا تقولُ ذاك.

من ذلك يتَّضح أنَّ سيبويه قد اعتمد على المقابلة الإعرابية لتوضيح المسألة، وتعميق صور التحليل والبحث عن تفصيلات الفروق الدلالية الناتجة عن تعدّد وجوه الإعراب في الكلمة الواحدة اعتمادًا على عناصر السياق وظروف الكلام، فهو ((يفسر الأوجه الإعرابية المتعاقبة على الكلمة نفسها في الجملة معتمدًا على عناصر سياق الحال فيجعل كل وجه يعبر عن موقف معين مختلف عن الوجه الآخر تبعًا لقصد المتكلم وفائدة المخاطب))[٢٨]، واستنادًا إلى هذه المعطيات فهذا التحليل ضروري؛ لكونه يهدف إلى التمييز بين التراكيب ببيان الفروق الدلالية فيما بينها، وبيان سياقاتها المتنوعة التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالوظائف النحوية لكلِّ كلمة في التركيب، فكلُّ وظيفة نحوية لها سياقها الخاص.

ثانيًا: المقابلة التركيبية وتوجيه الدلالة مع الاتحاد في الإعراب

لم يقتصر سيبويه على المقابلة بين التراكيب مع اختلاف وجوه الإعراب، بل عمد إلى المقابلة بين تركيبين متفقين في الإعراب لكنَّهما مختلفان في الدلالة التي تتحدَّد بسياق الكلام وملابسات القول و((الموقف الذي تستخدم فيه مثل هذه التراكيب ودلالتها وقيمة الحذف))[٢٩].

ومن أمثلة ذلك ما عرضه سيبويه في جملة: أتميميًّا مرة وقيسيًّا أخرى، يقول معلِّلًا وجه النصب في لفظتي: (تميميًا، قيسيًا): ((وإنَّما هذا أنَّك رأيتَ رجلًا في حال تلوُّن وتنقُّل، فقلتَ: أتميميًّا مرّة وقيسيًّا أخرى، كأنَّك قلت: أتَحوَّلُ تميميًا مرّة وقيسيًا أخرى. فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيتِ هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلوُّن وتنقُّلٍ، وليس يسأله مسترشدًا عن أمر هو جاهلٌ به ليفهِّمه إيّاه ويُخبره عنه، ولكنَّه وبَّخه بذلك))[٣٠].

يرتكز نظر سيبويه هنا في تحليله وتعليله للتراكيب ووضع أسسٍ عامة للبناء التركيبي للجملة على الظاهرة اللغوية بوصفها موضوعًا للبحث[٣١]، ويظهر ذلك جليًا في تفصيله لقضية الحذف، فقد فتح الحذفُ هنا مجالًا واسعًا للتأويل بعرض الصور المحتملة جميعها، وتقصي دلالاتها استنادًا إلى ظروف الكلام وملابساته، فجعلها سيبويه متعلقة بدلالة سياق الحال، أو بعلم المخاطب بالعنصر المحذوف من التركيب؛ فهو يدرك حدود الجملة الشكلية واستقلالها، ويدرك أيضًا أنَّ أيَّ جملة هي جزء من سياق خطابي موصول؛ لذا فهو لا يقصر نظره إليها في ذاتها، بل يتَّسع نظره إلى ما يحيط بها من عناصر السياق ومتعلقاته؛ فيركّز على الموقف الكلامي ويعدّه كلًّا واحدًا؛ وعلى هذا الأساس يجوز حذف عنصر من عناصر الجملة إذا كان في سياقها الكلامي ما يدلّ عليه[٣٢].

فتعليل وجه النصب هنا يقوم على قصد المتكلّم وفهم المخاطَب حسب ظروف معينة، فالمتكلّم لم يقصد هنا الاستفهام الحقيقي عن أمرٍ يجهله، بل أراد التوبيخ، فهو يعلم بالأمر لكنَّه يسأل ليُثبت ذلك ويوبّخ المخاطَب؛ لكونه في حال تلوُّن وتنقُّل، وهي حالة مذمومة.

وعلَّل سيبويه وجه النصب أيضًا بتعليل آخر إن لم يقصد المتكلّم التوبيخ بل قصدَ الإخبار،

يقول سيبويه: ((وإن أخبرتَ في هذا الباب على هذا الحدّ نصبتَ أيضًا كما نصبتَ في حال الخبر الاسمَ الذي أُخذَ من الفعل))[٣٣].

فالتركيبان متفقان لفظًا مختلفان في الدلالة، فرغم اتفاق التركيبين في النصب لابدّ من إدراك الاختلاف بينهما في الدلالة[٣٤]، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف ظروف الكلام وملابساته وسياق الحال، فقد ((حرص سيبويه حرصًا شديدًا على عدم فصل الكلمة أو الجملة عن محيطها الخارجي او عن سياق حالها، وهذا مبدأ من مبادئ النظريات السياقية، ويتضح ذلك عند سيبويه من خلال ربط الجمل المختزلة لغويًا التي لا يفهم معناها إلا بسياقها))[٣٥].

ومن الأمثلة أيضًا ما عرضه سيبويه في قول القائل: (مررتُ برجلينِ مسلمٍ وكافرٍ)، إذ يقول: ((جمعت الاسم وفرّقتَ النعتَ، وإن شئت كان المسلمُ والكافرُ بدلًا، كأنّه أجاب منْ قال: بأيّ ضربٍ مررتَ؟ وإن شاء رفعَ كأنّه أجاب من قال: فما هما؟ فالكلامُ على هذا وإن لم يلفظ به المخاطَبُ؛ إنّما يجري على قدر مسألتك عنده لو سألته))[٣٦].

فتفسير الجر في لفظتي: (مسلمٍ، كافرٍ)، يكون باتجاهين يتحددان بقصد المتكلّم وفهم المخاطَب وظروف الكلام.

الوجه الأول: أنَّهما نعتان متفرقان للاسم المجرور (برجلين)، فأراد المتكلِّم هنا الوصف فيهما، فجاء بالنعتين متفرقين؛ لأنَّهما لم يكونا متحدين في الصفة، وإرادة المتكلّم لم تكن منعزلة عن ظروف الكلام، بل هي مرتبطة بحال المخاطَب، فالمخاطَب هنا في حال استفهام عن صفة الرجلين، ولمَّا كانت الصفة متفرقة فيهما كان لابدَّ للمتكلِّم من التفريق بينهما، فلو كانا متحدين في الصفة لما عمد المتكلّم إلى التفريق فيهما.

الوجه الآخر: أنَّهما بدلان عن الاسم المجرور (برجلين)، وفسَّر ذلك سيبويه بأنَّ هذا التوجيه يكون على تقدير جواب لسؤال استبياني من المخاطَب هو: بأيّ ضربٍ مررتَ؟، فجاء جواب المتكلّم على قدر علم المخاطَب واستفهامه.

هذا التحليل يقوم بالأساس على استدعاء سياق الحال، فتوجيه الدلالة توجيهان مختلفان مع الاتحاد في الوجه الإعرابي لا يتحقَّق إلَّا إذا كانت هناك ظروف مناسبة تتَّصل بالمتكلّم والمخاطَب ومتعلقات الكلام الأخرى، وهذا ما أدركه سيبويه جيدًا، ويتَّضح من كلامه في افتراض سؤال موجَّه من المخاطَب يجيب عليه المتكلِّم بما يتناسب معه؛ لذا نراه يقول: ((الكلامُ على هذا وإن لم يلفظ به المخاطَبُ؛ إنّما يجري على قدر مسألتك عنده لو سألته))[٣٧].

وفصَّل سيبويه القول في المقابلة التركيبية ليقابل أيضًا بين هذه التراكيب في حال رفع لفظتي: (مسلمٌ، كافرٌ)، فهذا الوجه جائز فيهما أيضًا على تقدير جواب لسؤال المخاطَب: فما هما؟، فيكون الجواب: مسلمٌ وكافرٌ، أي: هما مسلمٌ وكافرٌ، فيكونان خبرين بحسب هذا التقدير، فالمتكلّم هنا يدرك حال المخاطَب باستفهامه عن شيء يجهله؛ لذا جاء كلامه موافقًا لتلك الحال، ففي أيّ كلام لا يمكن الاستناد إلى العناصر اللغويّة فقط، بل لابدَّ من الاعتماد على عناصر أخرى أساسية تتعلَّق بحال المتكلّم ومراعاةَ المخاطَب وأحواله وظروف الكلام، فهذه الأمور تستلزم من المتكلِّم اختيار الطريقة المناسبة للتعبير عن قصده[٣٨].

ممَّا سبق يتَّضح أنَّ سيبويه حين يقابل بين التراكيب في الإعراب كان يركّز في تحليله وتعليله لتلك التراكيب على الدلالة المُنتَجة في ظروف خطابية معيَّنة؛ ((ومن ثم كان تبرير العلامة الإعرابية يقوم على إدراك عميق بالمعاني النحوية والدلالية التي تتشكل من العلاقات بين المفردات داخل التركيب من جهة، ومن حركة هذه المفردات والعلاقات فيما بينها داخل النص ككل من جهة أخرى))[٣٩].

فأيّ تحليل وأيّ تعليل لابدّ أن لا يقتصر على تحليل البناء التركيبي الظاهري فقط، بل يتعدى ذلك إلى تحليل مناسبات الكلام وأحواله المختلفة، وهذا ما لُحظ عند سيبويه، فـ((اللغة عنده لم تكن تنفك عن ملابسات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تُستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي))[٤٠].

واستنادًا إلى ما سبق ذكره في مفاصل البحث يتبيَّن لنا أنَّ سيبويه لم يكتفِ بعرض التراكيب وتحليلها وتعليلها، بل عمد إلى المقابلة بينها في الإعراب؛ ليبيّن أدق التفاصيل التي تنتجها الوظائف النحوية المتعددة نتيجة التعدُّد في وجوه الإعراب ومواقع الكلمات في الجملة، وقد علَّل سيبويه ذلك تعليلًا وافيًا، و((حرص في تعليلاته على ربط التركيب بالمعنى، إذ إن كل حركة لعنصر ما داخل التركيب الكلي ينشأ عنها تغير في ترتيب العناصر الأخرى، وإذا كان التغير مناقضًا للمعنى فإن الحكم على التركيب المنتج بأنه غير صحيح نحويًا أو غير مقبول أو ذو مقبولية دنيا إلى آخر تلك الأحكام التي تضبط العلاقة بين وظيفة العناصر ومعانيها))[٤١].

ولُحظَ أنَّ ((سيبويه وهو بصدد أداء مهمته في إيضاح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب، وتحليل الظواهر الإعرابية الموافقة لها تعبيرًا عن وظائف كلامية معروفة، يستعيد السياق الذي ولدت فيه والجوّ الاجتماعي أو النفسي الذي رافق ولادتها مما سماه (الحال) أي المقام الذي قيلت فيه))[٤٢]، فنتجَ عن ذلك التحليل بيان وتفصيل للفروق الدلالية بين التراكيب التي تختلف باختلاف التوجيه الإعرابي.

الخاتمة:

اتّضح في البحث اهتمام النحويين وبالخصوص سيبويه بقضية المقابلة بين التراكيب، وهذا يدل على شمول الدراسة النحوية وعدم اقتصارها على تراكيب معينة وأساليب خاصة، وموضوعات محددة، هذا من جانب، ومن جانب آخر يدل ذلك على عمق نظر سيبويه في استقصائه للّغة وتتبع تراكيبها في سياقات مختلفة وأحوال متعددة.

وقد اتَّضح في البحث أيضًا عناية سيبويه بالإعراب؛ لما له من أثر فاعل في تحديد الوظائف النحوية، فقد حرص سيبويه على الربط بين التركيب والدلالة في تفصيله لقضايا الإعراب، وفي مقابلته بين التراكيب وتوجيه الدلالة بحسب ما يقتضيه الوجه الإعرابي.

واتَّضح أيضًا تركيز سيبويه على السياق بكلِّ أشكاله، وهذا ممَّا استدعته المقابلة بين التراكيب،

فالفروق الدلالية لا تتبيَّن إلَّا بتقصي سياق الحال لكلِّ تركيب، ومقابلته بسياقات التراكيب الأخرى؛ لتتبيَّن تلك الفروق، فمن دون المقابلة لا توجد ضرورة لذكر هذه التفصيلات، بل يمكن الاكتفاء بذكر الأشياء العامة التي يتّصف بها التركيب موضع الدراسة؛ لذا كان لابدَّ من المقابلة التركيبية في الإعراب.

وكلُّ ما سبق يدلُّ دلالة واضحة على شمولية الدراسة النحوية واتّساع ميادينها، فلم يترك النحويون شاردة أو واردة إلَّا درسوها، فهم لم يكتفوا بدراسة التركيب الواحد وتحليله، بل عمدوا إلى المقابلة الإعرابية بين التراكيب، فكان لذلك أثر في تعميق الدراسة وتفصيل القول في الفروق الدلالية.

الهوامش:

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ٢٤٢.
(٢) دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، د. صاحب أبو جناح: ١٤٧.
(٣) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية، د. كريم حسين ناصح الخالدي: ٢١٣.
(٤) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل: ٩١، وينظر: دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية-التراكيب النحوية والتداولية-علم النحو وعلم المعاني، د.عبد الحميد السيد: ١٨٩، والمقاربة النحوية في كتابي المقتصد في شرح الإيضاح ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، صباح رحمن دايخ: ١٩٠.
(٥) التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، محمد امطوش وآخرون: ٢٢٤-٢٢٥.
(٦) نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية: ٢٥٩.
(٧) ينظر: الأسس المعرفية والمنهجية في الخطاب النحـــوي العـربـي، د.فـؤاد بوعـلي: ٥٣٦.
(٨) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية: ٢٥٩.
(٩) نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية: ٢٥٩.
(١٠) سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، د. أسعد خلف العوادي: ٩٣.
(١١) ينظر على سبيل المثال: كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠هـ): ٩٢/١، ١٠٢، ٣٤٧، ٣٩٧، ١٥٠/٢-١٥١، ١٦٦/٣.
(١٢) كتاب سيبويه: ٣٦١/١-٣٦٢.
(١٣) الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي: ٥٣٤، وينظر: مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان: ٣٣/٢، ومبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدّور: ٢٧٩.
(١٤) كتاب سيبويه: ٣٦٢/١.
(١٥) مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، بحث، د. كريم حسين ناصح الخالدي: ٩.
(١٦) كتاب سيبويه: ٣٦٢/١.

(١٧) كتاب سيبويه: ٣٦٢/١.
(١٨) سياق الحال في كتاب سيبويه: ٩٤.
(١٩) نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية: ٢٥٨.
(٢٠) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٣٢.
(٢١) كتاب سيبويه: ٩١/١.
(٢٢) كتاب سيبويه: ٩١/١.
(٢٣) في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٨٧.
(٢٤) ينظر: دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، د. هادي نهر: ٢٠٤.
(٢٥) عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، د.سعيد حسن بحيري: ٢١٢.
(٢٦) كتاب سيبويه: ١٦٦/٣.
(٢٧) كتاب سيبويه: ١٦٦/٣.
(٢٨) سياق الحال في كتاب سيبويه: ٩٣-٩٤.
(٢٩) عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: ٢٤٠.
(٣٠) كتاب سيبويه: ٣٤٣/١.
(٣١) ينظر: أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية، أ.صابر الحباشة: ١٤٤.
(٣٢) ينظر: نظرية المعنى في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، عماد زاهي ذيب نعامنة: ٦١، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢١٨، واللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بوقرة: ٢٥٣.
(٣٣) كتاب سيبويه: ٣٤٥/١.
(٣٤) ينظر: عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: ٢٤٠.
(٣٥) سياق الحال في كتاب سيبويه: ٢٣٢.
(٣٦) كتاب سيبويه: ٤٣١/١.
(٣٧) كتاب سيبويه: ٤٣١/١.
(٣٨) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٢٣، ومدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل، فرانثيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم: يحيى حمداني: ١٤٣، والمعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي: ١٤٢، والاحتراز في نهج البلاغة دراسة نحوية ودلالية، رسالة ماجستير، صباح رحمن دايخ: ١٥.
(٣٩) عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: ٢٢٥، وينظر: علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة: د.نور الهدى لوشن، ط١، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ١٩٩٧م.
(٤٠) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، د.محمد حماسة عبد اللطيف: ١٤٧.
(٤١) عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه: ٢٢٥.
(٤٢) دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها: ٢١٥.

مصادر البحث:

أولًا: الكتب المطبوعة

١. أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية، أ.صابر الحباشة، ط١، دار زهران للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، ٢٠١١م.

٢. الأسس المعرفية والمنهجية في الخطاب النحوي العربي، د.فؤاد بوعلي، ط١، عالم الكتب، الأردن، ٢٠١١م.

٣. التداولية مقاربات في المفهوم والتأصيل، محمد امطوش وآخرون، ط١، دار نيبور للطباعة والنشر، الديوانية- العراق، ٢٠١٤م.

٤. دراسات في اللسانيات ثمار التجربة، أ.د.هادي نهر، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ٢٠١١م.

٥. دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية-التراكيب النحوية والتداولية-علم النحو وعلم المعاني، د.عبد الحميد السيد، دار الحامد، عمّان-الأردن، ٢٠٠٣م.

٦. دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، د.صاحب أبو جناح، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧. سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، د. أسعد خلف العوادي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٨. علم الدلالة، كلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة: د.نور الهدى لوشن، ط١، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ١٩٩٧م.

٩. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، د.سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٠.في النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدي المخزومي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.

١١.كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٢.اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د.نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٣.اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ط٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٤.مبادئ اللسانيات، د.أحمد محمد قدّور، ط١، الدار العربية، بيروت-لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.

١٥.مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل، فرانشيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم: يحيى حمداني، ط١، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، الديوانية- العراق، ٢٠١٤م.

١٦.مقالات في اللغة والأدب، د.تمَّام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٧.المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، ط٢، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.

١٨.النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د.هناء محمود إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٢م.

١٩. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، د.محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٠. نظرية المعنى في الدراسات النحوية العربية، أ.د.كريم حسين ناصح الخالدي، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢١. ثانيًا: الرسائل والأطاريح

٢٢. الاحتراز في نهج البلاغة دراسة نحوية ودلالية، رسالة ماجستير، صباح رحمن دايخ، إشراف: د. محمود عبد حمد اللامي، جامعة المثنى، ٢٠١٥م.

٢٣. المقاربة النحوية في كتابي المقتصد في شرح الإيضاح ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، صباح رحمن دايخ، إشراف: د. مهدي حارث الغانمي، جامعة القادسية، ٢٠٢٠م.

٢٤. نظرية المعنى في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، عماد زاهي ذيب نعامنة، إشراف: د. محمد كاظم جاسم البكاء، جامعة مؤتة، ١٩٩٩م.

٢٥. ثالثًا: البحوث المنشورة

٢٦. مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، بحث، د. كريم حسين ناصح الخالدي، مجلة المورد، العدد: ٣، ٢٠٠٢م.